

الله وصفاته في سفر التكوين العبرية دراسة ، تحليل ، نقد

د.خادم حسين إلهي بخش

أستاذ قسم الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة الطائف ، السعودية .

Abstract

Genesis has Containing news of a few relevant much relevance to human Detective, written in different periods, the bulk of which related to the era of Jacob and Joseph peace be upon them, It is the history of the sons of Jacob, who Allah called Israel according to Genesis

His news of creating Human qualities similar to Allah in opposition to the fact that the vulnerability of Human life, disability and failure to implement what they want to do, and Transcendence of Allah from such descriptions is the mind and appropriate texts saved from revelation

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله
الأمين ، سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله
وصحابه الطيبين الطاهرين، ومن سلك سبيلهم وترسم خطاهم
ونهج منهجهم إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الله لم يتكفل بحفظ كتاب من كتبه المنزلة على مبعوثيه سوى القرآن الكريم، (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (1) بما في ذلك التوراة والزبور والإنجيل وصحف إبراهيم وموسى.

لذا تعرضت هذه الكتب للتحريف والتغيير ، ومستنها يد العبث والتحريف فأضافت إليها وحذفت منها عبر التاريخ .
أضف إلى ذلك أن اليهود والنصارى المعاصرين يقطعون أن النص الموجود هو كلام الله بالمعنى ، لا كلامه باللفظ والمعنى ، كما هو حال القرآن الكريم ، فإنه كلام الله لفظاً ومعنى بإجماع المسلمين ، ولم يشذ عن ذلك إلا أفراد متناثرون في كتب التاريخ .
ويزداد الأمر صعوبة تجاه العهد القديم - التوراة وتوابعها - لفقدان الأصل الذي نزل من عند الله ، فالتوراة نزلت باللغة العبرية ولا وجود لتلك النسخة الأساسية ، بل نجد التوراة بأسفارها الخمسة كتب على صدرها (الكتاب المقدس أي كتب العهد القديم والعهد الجديد وقد تُرجم من اللغات الأصلية) (2) ولا يستطيع تقييم الجملة الأخيرة إلا المعنيون بالترجمة لاعتراء الصعوبات التالية :

- 1/ ما مدى الثقة التي تحملها الترجمة عند فقدان الأصل.
- 2/ ما مدى الثقة التي تحملها الترجمة عند جهالة المترجم ، وهل كان يتقن اللغتين المترجم منها والمترجم إليها .

3/ ظلت التوراة تُنسخ عبر العصور ، فما مدى دقة الناسخ ونقل الكلمة كما وجدها في النسخة المنقولة.

4/ وما مدى تأثير اللغة وتغير مفرداتها عبر القرون على هذا السفر ، مع عدم وجود معاجم تضبط المفردة القديمة وتقدم المفردة الجديدة التي يمكن أن تحل محلها.

5/ وما الضمان الذي يستطيع معتقو التوراة تقديمه بأن معاني المفردات لم تتغير عبر التاريخ .

6/ ينص القرآن الكريم أن الله أنزل التوراة على موسى عليه السلام ، ومن محتوياتها الألواح التي نزلت مكتوبة من عند الله قال تعالى: (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكِ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ) (3) وقال عز من قائل (وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) (4)

وقد ذكرت إذاعة بي بي سي البريطانية في شهر رجب سنة 1420 هـ في نشرتها العربية وسمعتها بأذني أن دولة إسرائيل سترفع القيود المفروضة على رؤية هذه الألواح ، وإن قراءة نصوصها سيقود المجتمع الإسرائيلي إلى بلبلية فكرية، إذ فيها التوحيد بينما المجتمع اليهودي يبيح الشرك ويتعامل به .

وقد سمحت إسرائيل فعلاً لزوار المتحف برؤية هذه الألواح لمدة خمسة أيام ثم حجبته مرة أخرى ، رغم وعدها بسماع

رؤيتها لمدة ستة أشهر طلباً لجمع العملة الصعبة من السياح الزائرين .

مع وجود كل هذه العوائق استعنت بالله ودرست سفر التكوين الذي به تُفْتَتَح التوراة العبرية المعتمدة لدى أغلب فرق اليهود ، وعنوانت هذه الدراسة بعنوان (الله و صفاته في سفر التكوين العبرية) وقسمتها إلى ثلاثة مباحث :

- 1/ تاريخ سفر التكوين .
- 2/ خلق الإنسان في سفر التكوين .
- 3/ صفات الله الإنسانية في سفر التكوين .

المبحث الأول : تاريخ سفر التكوين

محتويات سفر التكوين :

- 1/ يحتوي سفر التكوين على أخبار خلق السماوات والأرض وخلق ما بينهما من مخلوقات ، وتقسيم الزمن إلى ليلٍ ونهار وأيامٍ وسنين ، وخلق الطيور والوحوش والبهائم .
- 2/ كما يحتوي على خبر خلق الله للإنسان على صورته وشَبْهه ذكراً وأنثى ليتسلط على سمك البحر وطيور السماء ، ويستمر هذا السفر في ذكر الأحداث التي مرت بآدم وأبنائه ثم نوح وأبنائه وإخوانه ثم إبراهيم وزوجاته وأبنائه وإخوانه.
- أضف إليه استمراره في تسلسل ذكر الأحداث بالتفصيل والجزئيات ، من عهد إبراهيم عليه السلام وخروجه من العراق

وتوجهه إلى فلسطين ثم إلى مصر ، وينتهي باستحلاف يوسف بني إسرائيل، لينقلوا جثمانه بعد موته من مصر إلى فلسطين) واستحلف يوسف بني إسرائيل قائلاً: الله يفتقدكم فتصعدون عظامي من هنا ، ثم مات يوسف وهو ابن مئةٍ وعشر سنين ووضع في تابوت في مصر) (5)

مميزات سفر التكوين

أهم ما يميز هذا السفر:

- 1/ التبريك من الله أو من الأب لأبنائه بكثرة النسل والأولاد .
- 2/ التبريك من الله أو من الأب لأبنائه بكثرة الأموال والمواشي والذهب .
- 3/ التبريك من الله أو من الأب بتملك أرض فلسطين .
- 4/ سفر التكوين يظهر اليهود كبدو رحل في أرض فلسطين ، لا يملكون من أرضها شيئاً إلا الوعود .
- 5/ لا يتم الزواج في هذا السفر إلا بوصف البنت بالجمال في المنظر .
- 6/ يرعى الله في هذا السفر مصالح بني إسرائيل ، ويحافظ على ممتلكاتهم دون سائر البشر .
- 7/ كثرة اعتداءات بني إسرائيل بعضهم على بعض حيناً , وعلى غيرهم أحياناً أخرى .
- 8/ وجود تعبيرات وقحة تَخْدِش كرامة الإنسان قارئاً وسامعاً .

كل هذه المميزات تطرح على الباحث السؤال الرئيس هل سفر التكوين وحي من الله ، أو سعي بشري كُلف صاحبه بكتابة تاريخ بني إسرائيل ، منذ وجود أول إنسان على وجه الأرض إلى وفاة يوسف عليه السلام .

كما تطرح هذه المميزات تساؤلاً آخر لا يقل أهمية عن سابقه ، هل كاتب هذا السفر فرد واحد أو أكثر من فرد عند اعتبار بشريته ، وهل كُتب في فترة زمنية متقاربة ، أو ظل يتكامل و يتناوب على تكميله أفراد عاشوا حقبة الأحداث أو تركوا أدلة على أحداث تلك الفترة ، فكتبها فرد في فترة لاحقة أعقبت تلك الأحداث .

وخير من يجيب على هذه التساؤلات هو محتويات سفر التكوين ، وبذلك ينكشف المُنْبئ ويسهل الحكم على هذا السفر ، هل هو وحي من الله أو جهد بشري لحفظ تاريخ بني إسرائيل، بغض النظر عن صحة المعلومات من عدمها.

سفر التكوين وحي أو جهد بشري؟

المتتبع لأحداث سفر التكوين لا يصعب عليه القول بأنه كتب على فترات متلاحقة ، وجامعوه أفراداً متعددون عاصروا الأحداث أو سمعوها ، فسجلوها بطريقة ما كذكريات وشهود عيان ، فظل هذا السفر يتكامل ويمزج بين أحشائه خليطاً بما نزل به الوحي على بعض رسل بني إسرائيل ، والانطباعات البشرية لجامعيها التي تُعد بمثابة تحليل لأحداث تلك الحقب الغابرة .

ولكثرة هذه الانطباعات والتحليلات سأقتصر على أبرزها:

1/ يبدأ سفر التكوين بجملة (في البدء خلق الله السماوات والأرض ، وكانت الأرض خربة وخالية ، وعلى وجه الغمر ظلمة) (6) (أمعن النظر في الجمل الثلاث تجد كاتبها يخبر عن أول المخلوقات وعن حالة الأرض عند خلقها ، فهو مؤرخ يؤرخ لبداية المخلوقات ، وربما كان مفهوم الخبر وحياً تناقلته الألسنة عبر التاريخ حتى جاء وقت تدوينها فدوّنّها هذا الكاتب المجهول . (7)

2/ ويزداد القارئ ثقة ببشرية هذا السفر إذ يجد الكاتب يؤرخ لتسمية الأرض والبحار ، وأن الله دعاها بهذه الأسماء فهو يخبر بما وقع (وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ، ولتظهر اليابسة ، وكان كذلك ، ودعا الله اليابسة أرضاً ومجتمع الماء بحاراً) . (8)

3/ ينهي الكاتب أخباره عن خلق السماوات والأرض وما بينهما من المخلوقات بجملة (هذه مبادئ السماوات والأرض حين خلقت ، يوم عمل الرب الإله الأرض والسماوات) . (9)

4/ يحصر الإصحاح الخامس من هذا السفر ذكر من أنجبهم آدم ، فيذكر اسمه وعمره ومن ولد له والعمر الذي عاشه بعد هذا المولود والعمر الكلي الذي قضاه على وجه الأرض ، ومثل هذا العمل لا يتأتى إلا من بشر مثلي و مثلك ومثل كاتب سفر التكوين . (10)

5/ حين تبدأ قراءة الإصحاح السادس لا تشك أن كاتبه إنسان لأنه يتحدث كما يتحدث المؤرخ للأحداث (وحدث لما ابتدأ الناس يكثر على الأرض ، ووُلِدَ لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات ، فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا) (11) .

6/ يخبر عن طوفان نوح عليه السلام فيقول : (وحدث بعد السبعة الأيام أن مياه الطوفان صارت على الأرض ، في سنة ست مئة من حياة نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر من الشهر ، في ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء ، وكان المطر على الأرض أربعين يوماً وليلة ، في ذلك اليوم عينه دخل نوح و سام و حام و يافث بنو نوح وامرأة نوح وثلاث نساء بنيه معهم إلى الفلك). (12)

7/ لا تستغرب إن استعمل كاتب سفر التكوين الأمثلة الشائعة في زمنه ، وعللها بالتعليل البشري لأنه بشر ، فهذا هو يذكر ويعلل مثلاً من هذه الأمثلة فيقول: (وكوَّش وكَدَ نمرود الذي ابتدأ يكون جباراً في الأرض الذي كان جبار صيد أمام الرب ، ولذلك يقال كنمرود جبار صيد أمام الرب ، وكان ابتداء مملكته بابل و أرك و أگد وکلثة في أرض شِنْعَار). (13)

8/ يحدد لك هذا السفر منطقة سكنى قبائل الكنعاني كتحديد الإنسان للإنسان تماماً لأنه إنسان (وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعاني ، وكانت تخوم الكنعاني من صيدون حينما تجيء نحو

جَرَّارَ إِلَى غَزَّةَ ، وَحِينَما تَجِيءُ نَحْوَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ وَ أَدَمَةَ وَ صَبُؤِيمَ إِلَى لَشَّعَ) (14)

9/ يؤرخ هذا السفر للأشوريين وما بنوه من المدن مع التحديد بالدقة البشرية وتعيين أكبرها ، فيقول : (من تلك الأرض خرج آشور وبنى نينوى و رحوئوت عير وكالچ ، ورسن بين نينوى وكالچ هي المدينة الكبيرة) (15)

10/ يخبر عن نزاع ميراثي على أرض وتم إنهاؤه في عهد فلان فيقول: (ولعابر وُلد ابنان اسم الواحد قَالَج ، لأن في أيامه قسمت الأرض واسم أخيه يَقْظَان) (16)

11/ يخبر الكاتب عن قرיתי قوم لوط وكيف كان المرعى فيهما قبل تدمير الله لهما ، وتشوف لوط عليه السلام إلى منطقة الأردن كلها لاتخاذها مرعى لبهائمه فيقول : (فرفع لوط عينه ورأى كل دائرة الأردن أن جميعها سقي قبلما أخرب الرب سدوم وعمورة ، كجنة الرب كأرض مصر حينما تجيء إلى صوغر) (17)

12/ يخبر بموت إبراهيم على لسان الله ويحدد مدفنه قائلاً : (وأما أنت فتمضي إلى آبائك بسلام بشيبة صالحة) (18)

13/ حين تقرأ محادثة إبراهيم مع ربه عند إهلاك سدوم وعمورة قرיתי قوم لوط ينتقي عنك الشك تماماً ، وستجزم بأن كاتبه مؤرخ بشري لأنه نسب إلى الله ما يليق بجلاله ، فالله في نظره لا يتعدى أن يكون أخاً أكبر أو أخاً أصغر للإنسان الذي خلقه (وقال الرب إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيئتهم قد عظمت جداً ،

وَأَنْزَلُ وَأَرَى هَلْ فَعَلُوا بِالْتِمَامِ حَسَبَ صِرَاحِهَا الْآتِي إِلَيَّ وَإِلَّا فَأَعْلَمُ ، وَانصَرَفَ الرِّجَالُ مِنْ هُنَاكَ وَذَهَبُوا نَحْوَ سَدُومَ) . (19)

(فالله في النص السابق غير عالم بما يجري في ملكه ، وأن ما ترفعه الملائكة من أعمال بني آدم مشكوك في نظره ، فيضطر إلى النزول لكشف الحقيقة على أرض الواقع ، لذا نزل إلى سدوم وعمورة ، وجملة (وإلا فأعلم) ناقصة التركيب وتكملتها وإلا فأعلم أن الحقيقة غير ذلك .

20/ يسرد هذا السفر قصة ذبح إبراهيم لولده عليهما السلام ، ويحكي ما هو منقول عند الناس عن المحرقة ، ويخبر عن ذلك كناقل للخبر فيقول: (وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم فقال : له يا إبراهيم فقال: هأنذا ، فقال : ابنك وحيدك الذي تحبه ، واذهب به إلى أرض المريا واصعده ، هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك .

فبكر إبراهيم صباحاً وشد على حماره ... ، فقال : له لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً ... ، فرفع إبراهيم عينيه ونظر فإذا كبش وراءه مُمسكاً في الغابة بقرنيه ، وأخذ الكبش وأصعده عوضاً عن ابنه ، فدعى إبراهيم ذلك الموضع يَهُوَّهَ يَرُؤَهُ ، حتى إنه يُقال اليوم في جبل الرب يُرى) . (20) فهل يمكن عد الجملة الأخيرة وحياً ، بل إنها حكاية للمنقول على الألسنة .

15/ يخبر هذا السفر عن أولاد نَاحُورَ أخى إبراهيم ، فيحدد أسماءهم ويحدد أسماء أحفاده و حفيداته ، كأى متخصص بشري في علم الأنساب فيقول : (وسكن إبراهيم في بئر سَبْعَ ، وحدث بعد هذه الأمور أن إبراهيم أخبر وقيل له هو ذا مِلْكَةٌ قد ولدت هي أيضاً بنين لِنَاحُورَ أخيك ، عُوَصَا يَكْرُهُ و بُوزَا أخاه و قَمُوَيْيلَ أبا آرَامَ ...) . (21) فمن المخبر ، فهل يعقل أن يكون هذا الخبر من الله .

16/ حين تنظر في قصة موت سارة زوج إبراهيم ، وتحديد سني حياتها مع تحديد قرية الوفاة باسمها القديم والجديد ، وفي أي المملكة تقع هذه القرية عند كتابة هذا السفر ، وتذلل إبراهيم لأصحاب الأرض ليعطوه مكان قبر لدفن ميتة ، كل ذلك لا يدع مجالاً عندك للشك بأن كاتبه مؤرخ بشري سمع الحدث متناقلاً على الألسنة فسجله (وكانت حياة سارة مئة وسبعاً وعشرين سنة سني حياة سارة ، وماتت سارة في قرية أربع التي هي حَبْرُونُ في أرض كنعان ، فأتى إبراهيم ليندب سارة ويكي عليها ، وقام إبراهيم من أمام ميتة وكلم بني حِثَّ قائلاً أنا غريب ونزِيل عندكم أعطوني ملك قبر معكم لأدفن مَيِّتي من أمامي) . (22)

17/ عند النظر في قصة زواج إسحاق عليه السلام يرتفع عنك الشك بأن يكون هذا السفر وحياً ، بل هو تسجيل بشري لأحداث وقعت ، ككتب التاريخ التي أرخت لكل يوم أحداثها ، فالعبد المكلف بتزويج إسحاق يحاور مولاه إبراهيم عليه السلام بأن الفتاة

ربما تمتنع عن المجيء إلى أرض الغربية ، فهل تسمح لابنك أن يهاجر إليها ليسكن معها ، ثم يذهب العبد إلى مدينة نَاحُورَ وَيُنِيخُ جماله عند بئر السقي ويتفرس في القادمت لملء الجرار ، ويلبس البنت المختارة خِزَامَةَ أنف زنتها نصف شَاقِل وسوارين على يديها زنتهما عشرة شَوَاقِل ، ثم يدخل بيت البنت ويلتقي بأسرتها فإذا هي بنت أخي إبراهيم . فالإصحاح برُمته تفصيل كامل لهذا الزواج ، فهل يعقل أن يكون وحيًا ، ووزن الخزامة والسوارين بشاقل ربما يشير ان إلى الزمن الذي كتب فيه هذا الحدث . (23)

(

ويختتم القاص القصة في الإصحاح بقوله : (فأدخلها إسحاق إلى خباء سارة أمه ، وأخذ رفقة فصارت له زوجة وأحبها ، فتعزى إسحاق بعد موت أمه) بها ، لأنها آنست وحشته ، فكل ذلك شعور بشري تجاه بشر يماثلهم ، فهل يمكن عده وحيًا ؟ .

18/ يسرد هذا السفر أولاد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، ويحدد سني حياة الابن بمائة وسبع وثلاثين سنة ، ويُعَيِّنُ مكان إقامتهم كما يعين البشر فيقول : (وسكنوا من حَوِيلَةَ إلى شُورَ التي أمام مصر حينما تجيء نحو أشُور) . (24)

19/ عند قراءتك للنزاعات التي حدثت بين رعاة إسحاق ورعاة خصومه ، لن تجد غضاضة في تسمية هذا السفر بأنه شبيهة بقصص الجدود والجذات التي يروونها للأحفاد والحفيدات ليلاً لتمضية الوقت ، وتذكيرهم بما فعله الأجداد أو بما فعل بهم ، فهذا

عيسو بن إسحاق يتزوج زوجتين فيصف القاص العلاقة المتوترة بين الزوجتين من جهة وبين أبي الزوج وأمه من جهة أخرى فيقول : (ولما كان عيسو ابن أربعين سنة اتخذ زوجة ، يَهُودِيَّت ابنة بئري الحثي وبَسْمَةَ ابنة إيلون الحثي ، فكانتا مرارة نفس إسحاق ورفقة) . (25)

فهل يمكن عد مثل هذا الخبر عن هذه العلاقة وحياء ، بل إنه شعور داخلي للمخبر لا غير .

20/ حين تقرأ مؤامرة عيسو على شقيقه يعقوب عليه السلام بقتله ، وتَدخُل الأم بحيلة النجاة لن يسعك إلا أن تقول إن كاتبه إنسان من البشر ، وأن أخباره أخبار العصر الذي عاش فيه (فحقد عيسو على يعقوب من أجل البركة التي باركه بها أبوه ، وقال : عيسو في قلبه قربت أيام مناحة أبي فأقتل يعقوب أخي ، فأخبرت رفقة بكلام عيسو ابنها الأكبر ... ، فالآن يا بني اسمع لقولي وقم اهرب إلي أخي لابان ، إلى حاران وأقم عنده أياماً حتى يرتد سخط أخيك) . (26)

21/ حديث هذا السفر عن زواج يعقوب بابنة لابان وما فيه من غش وتدليس، فقد زوجه بأخت المخطوبة خداعاً ثم زوجه المخطوبة ، فظلت الأولى مكروهة عند زوجها حتى فتح الله رحمها فأنجبت له أربع بنين (27) فاعتاظت ضررتها وشقيقتها - الزوج الأصل - وخاطبت زوجها يعقوب قائلة: (فلما رأت راحيل أنها لم تلد ليعقوب غارت راحيل من أختها ، وقالت

ليعقوب هب لي بنين وإلا فأنا أموت ، فحمي غضب يعقوب على راحيل وقال : أَلْعَلِّيَّ مكان الله (28) الذي منع عنك ثمرة البطن ، وقالت هو ذا جاريتي بلهة ، أدخل عليها فتلد على ركبتي وأرزق أنا أيضاً منها بنين) (29)

فمن الصعوبة بمكان أن تحكم على هذه القصة ومثيالاتها في سفر التكوين على أنها وحي الله ، بل إنها حكاية عن المكر والخداع ونهب الخدمات وغيره الضرر تجاه ضررتها وإشباع فطرة الأمومة ولو بطريق غيرها ... كل ذلك جزء من التاريخ البشري اليهودي لا يمكن عد وحيًا . 22/ يمضي السفر في المنافسة بين الزوجتين على تملك يعقوب ليلاً ولو بتعويض (ومضى رَآوْبَيْن في أيام حصاد الحنطة فوجد لُقَّاحاً (30) في الحقل وجاء به إلى لَيْئَةَ أمه ، فقالت راحيل لليئة أعطيني من لفاح ابنك فقالت لها أ قليل أنك أخذت رجلي فتأخذين لفاح ابني أيضاً ، فقالت راحيل إذا يضطجع معك الليلة عوضاً عن لفاح ابنك) ، فلما أتى يعقوب من الحقل في المساء خرجت ليئة لملاقاته وقالت : إِلَيَّ تجيء لأنني قد استأجرتك بلفاح ابني) (31)

23/ يبدو أن مؤرخ سفر التكوين رغم يهوديته الظاهرة في السفر تعتريه البلاهة أحياناً عند الكتابة فيكشف العديد من عورات اليهود ، وما يمتازون به عن بقية البشر من كثرة المكر والغش والخداع من غير شعور أنه يتحدث عن رسول سماه الله إسرائيل حسب قوله (32) فهو الأساس والأب لجميع بني إسرائيل .

فها هو يعقوب يهرب من أرض لابان أبي زوجته بخداع ،
وتسرق إحدى زوجته أصنام أبيها عند الهرب (فسرت راحيل
أصنام أبيها ، وخدع يعقوب قلب لابان الأرامي إذ لم يخبره بأنه
هارب ، فهرب هو وكل ما كان له ، وقام وعبر النهر وجعل
وجهه نحو جبل جلعاد) (33) فهل يمكن عده وحياً ؟

24 / يتم هذا السفر قصة الهروب وبماذا أمر الله يعقوب بعدها ،
وكيف طهر بيته من الآلهة الغريبة ، وضمها إلى أقرات الأذان
فدفن الأقرات والآلهة عند مكان محدد ، تناقلته الألسنة الإسرائيلية
بمن فيهم كاتب سفر التكوين.

فيقول : (ثم قال : الله ليعقوب قم اصعد بيت إيل ، وأقم هناك
واصنع هناك مذبحاً لله الذي ظهر لك حين هربت من وجه أخيك
عيسو ، فقال : يعقوب لبيته ولكل من كان معه أعزلوا الآلهة
الغريبة ... ، فأعطوا يعقوب كل الآلهة التي في أيديهم والأقراط
التي في آذانهم ، فطمرها يعقوب تحت البُطمة - اسم مكان - التي
عند شكيم) (34) فهذا خبر بشري من كاتب بشري ، دُونَ ما
كان متناقلاً على الألسنة ، لا صلة له بالوحي .

25 / لا يتورع كاتب سفر التكوين من ذكر أخبار الزنا التي
تتخاشى البشرية ذكرها ، بل جعل نصيباً منها لعائلة إسرائيل
ومؤسس نسبهم يعقوب عليه السلام ، فروى قصة دينة بنت
يعقوب وكيف أخذها شكيم بن حموّر الحوي وضاجعها ، وظلت
عنده ثلاثة أيام مع علم الأسرة بمكان وجودها ، فهل يعقل أن

يكون ذلك وحياً ؟ وقد صان الله أنبياءه مع أسرهم من هذه الرذيلة
(35)

26/ حين تقرأ بقية هذه القصة تجد الغدر سمة بارزة من سمات اليهود ، ولا يتورع الكاتب عن ذكرها ، بل ربما عدها بطولية من بطولات اليهود ، فقد قتل شَمْعُون و لاوي شقيقا دينة رجال المدينة التي كان يحكمها شَكِيم غدراً ، بعد إبرام اتفاق المصالحة وإيفاء أهلها بشروطها .

ثم يدخل بنو يعقوب لنهب المدينة وسبي النساء والأطفال والمواشي (وقتلا حمور وشكيم ابنه بحد السيف ، وأخذوا دينة من بيت شكيم وخرجوا ، ثم أتى بنو يعقوب على القتل ونهبوا المدينة لأنهم أنجسوا أختهم ، غنمهم وبقرهم وحميرهم وكل ما في المدينة وما في الحقل أخذوه ، وسبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل أطفالهم ونسائهم ، وكل ما في البيوت) (36) فهل يمكن تصور مثل هذا الخبر وحياً ؟

27 / ويبدو أن ظاهرة ذكر الزنا في هذا السفر غير مُعَاب ، فهذا يهوذا يزني وينجب ثلاثة أطفال من زنا من غير نكير (وحدث في ذلك الزمان أن يهوذا نزل من عند إخوته ومال إلى رجل عَدْلَامِي اسمه حَيْرَة ، ونظر يهوذا هناك ابنة رجل كنعاني اسمه شُوع ، فأخذها ودخل عليها فحبلت وولدت ابناً اسمه عَيْر ، ثم حبلت أيضاً وولدت ابناً ودعت اسمه أُوتَان ، ثم عادت فولدت

أيضاً ابناً ودعت اسمه شَيْلَة ، وكان في كزيب حين ولدته) (37)

28 / لا تستغرب إن اعترى كاتب هذا السفر ما يعتري البشر من النسيان والسهو ، فقد ذكر في سفره مرتين أن الله غير اسم يعقوب إلى إسرائيل ، مرة في الإصحاح 32 (38) ومرة في الإصحاح 35 (39) ثم نسي ما كتب ، فعاد في الإصحاح 42 وسمى إسرائيل باسمه الأبوي يعقوب (فلما رأى يعقوب أنه يوجد قمح في مصر ، قال : يعقوب لبنيه ... انزلوا إلى هناك واشتروا لنا من هناك لنحيا ولا نموت) (40) فإن نسبنا هذا الخبر إلى الله كان الله نسياً ، وحاشا أن يكون كذلك ، بل كاتبه من البشر غلبه النسيان فسمى يعقوب باسمه ، ونسي أنه قد سجل عن الله أنه غير اسم يعقوب .

29 / يظهر على كاتب سفر التكوين أسلوب البشر بوضوح فينقل بعض الأخبار بصيغة الجزم ، وينقل الأخرى بصيغة التضعيف وغير اليقين لأنه بشر ، فها هو يروي وصول خبر إخوة يوسف بالصيغتين (ثم وقع على عنق بَنِيَامِينَ أخيه وبكى ، وبكى بنيامين وقَبَلَ جميع إخوته وبكى عليهم ، وبعد ذلك تكلم إخوته معه ، وسَمِعَ الخبر في بيت فرعون ، وقيل جاء إخوة يوسف فحسن في عيني فرعون وفي عيون عبيده) (41) فهو مؤرخ يذكر الخبر بأسلوب بشري كما يذكره سائر البشر ، فهل يعقل بناء

الفعل للمجهول في (سمع) و (قيل) و المخبر هو الله ، هل الله يشك في خبره ؟ حاشا أن يكون الخبر بهذه الصيغة إلهياً .

30 / عند النظر في زيارة يوسف لأبيه في مرضه الذي توفي فيه ، تجد الكاتب يخبر بأسلوب قصصي ولا تشم منه رائحة الوحي ، بل تراه حديثاً بشرياً صيغ صياغة بشرية (وحدث بعد هذه الأمور أنه قيل ليوسف أبوك مريض فأخذ معه ابنه : مَسَّى وأفرايم فَأَخْبَرَ يَعْقُوبَ وَقِيلَ لَهُ هُوَ ذَا ابْنُكَ يَوْسُفَ قَادِمٌ إِلَيْكَ، فتشدد إسرائيل وجلس على السرير) (42)

31/ يخبر هذا السفر بموت إسرائيل ووصيته في المكان الذي يدفن فيه ، وتحديد من دفن من آبائه وزوجاتهم في ذلك المكان (ادفنوني عند آبائي في المغارة التي في حقل عَفْرُونَ الْحَثِي ، في المغارة التي في حقل الْمَكْفِيلَةِ التي أمام مَمْرَا في أرض كنعان ، التي اشتراها إبراهيم مع الحقل من عفرون ملك قبر ، هناك دفنوا إبراهيم وسارة امرأته . هناك دفنوا إسحاق ورفقة امرأته ، وهناك دفنت لَيْئَةَ. شراء الحقل والمغارة التي فيه كان من بني حث ، ولما فرغ يعقوب من توصية بنيه ضم رجليه إلى السرير وأسلم روحه وانضم إلى قومه) . (43)

النتيجة

يَبْدُو لي مَنْ تَتَّبِعُ الأحداث السابقة وغيرها من الأحداث في هذا السفر أنه دُونََ في الفترة التي عاشها يعقوب وابنه يوسف عليهما السلام استناداً على ما يلي :

أولاً : أكثر من نصف هذا السفر يتحدث عن هذه الفترة ، فمن الإصحاح الخامس والعشرين إلى نهاية السفر تجده يتحدث عن يعقوب وأحداثه وعن يوسف وأحداثه ، وحديثه عن يعقوب أكثر من حديثه عن يوسف عليهما السلام .

ثانياً : كثرة ذكره لأحداث يعقوب يقودني إلى القول بأن كاتبه عاش في فلسطين أطول فترة من حياته ، وعاصرت حياته حياة يعقوب عليه السلام.

ثالثاً : ما كتبه عن خلق الخلائق وتناسل البشر وسفينة نوح ثم حياة إبراهيم كل ذلك كان متناقلاً بين البشر ، وربما كان مسجلاً بطريقة ما ، فاستقى مؤلف سفر التكوين تلك الأخبار ودونها ، دُونَ أن يكون لها دقة الرصيد من الوحي .

رابعاً : تفصيل السلالات من ذكر الأبناء والبنات والزوجات والتصاهر ... كل ذلك يقودني إلى الجزم بأن كاتبه من سلالة يهودية ، لا يسمح فكره بذكر السلالات غير اليهودية ، وإن ذكرها في بعض الأحداث لم يكن ذكره لها إلا عرضاً لصلة الحدث باليهود ، لولا ذلك ما تطرق إلى ذكرها على الإطلاق .

خامساً : سفر التكوين سفر يهودي لتاريخ بني إسرائيل خليط الأخبار ، ربما جاء الوحي ببعضها وتناقلته الألسنة دون التقيد بألفاظها ، وظلت متناقلة حتى دونها كاتب السفر ، فهو سفر بشري الألفاظ من غير نزاع ، قليل الصلة بالوحي كثير الصلة بالبشر .

المبحث الثاني : خلق الإنسان في سفر التكوين

لم تستسغ العقلية اليهودية التوحيد وتفرّد الإله بصفاته ، وإنه لا يماثله شيء ولا هو يماثل شيئاً كما تراه في القرآن الكريم بوضوح ، قال تعالى : (فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (44)

خلق الإنسان على صورة الله

ينسب سفر التكوين إلى الله أنه خلق الإنسان على صورته (وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ، فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض) (45) .
ويخبر السفر بنتيجة القول ويؤكد بها بتكرار المعنى فيقول : (فخلق الله الإنسان على صورة الله ، خلقه ذكراً وأنثى ، وباركهم الله ، وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض) (46) .
ويجزم سفر التكوين بخلق آدم شبيهاً بالله ، من غير أي تمييز للإله الخالق ، فآدم وخالقه يماثل بعضهم بعضاً (يوم خلق الله الإنسان على شبه الله عمله ، ذكراً وأنثى خلقه ، ودعا اسمه آدم يوم خلق) (47) .

ويؤكد على مفهوم المشابهة بين الله والإنسان في الإصحاح التاسع في صورة (وأطلب أنا دمكم لأنفسكم فقط من يد كل حيوان أطلبه ، ومن يد الإنسان أطلب نفس الإنسان ، من يد الإنسان أخيه

سَافِكَ دم الإنسان دم الإنسان بالإنسان يُسفك دمه لأن الله على صورته عَمِلَ الإنسان (48) .

ويصل مفهوم المماثلة بين الله والإنسان في كل الوجوه سوى استمرار الحياة ودوامها ، ولخوف الله أن يأكل الإنسان من شجرة الحياة فيحیی مثل الله إلى الأبد طرده من جنة عدن ، وحرس طريق الشجرة بسيف ملتهب متقلب (وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ، ويأكل ويحیی إلى الأبد ، فأخرجه الرب الإله من جنة عدن الكرونيْم ، ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة) (49) .

تلخيص النصوص السابقة

النصوص السابقة تبرز لنا النقاط التالية :

- 1/ إن الله خلق آدم شبيهاً به .
- 2/ بما أن الله شبيه بالإنسان يلزم أن يكون فيه صفة الذكورة والأنوثة ، لأن الإنسان يتركب منهما .
- 3/ الله متسلط على مخلوقاته ، والإنسان يماثله في التسلط فلا يغلبه شيء ولا يعجزه .
- 4/ خاف الله أن يشارك آدم وأبنائه الله في صفة دوام الحياة فطردهم من الجنة .

المناقشة

أولاً : حين ننظر إلى النقطة الأولى نجدها تتعارض مع واقع الإنسان ، فالله يتصف بصفة الغنى المطلق ، غير محتاج إلى مخلوق من مخلوقاته من الإنسان وغيره ، بينما الإنسان فيه الفقر والعجز ، فهو دائم الاحتياج لا يستطيع الاستغناء لحظة في حياته . فهو محتاج إلى طعام لشبع بطنه ، وإلى دواء لمعالجة مرضه ، وإلى مُعين من بني جنسه ليقضي له بعض ضرورياته ، وإلى مثل ذلك جاءت الإشارة الإلهية في كتابه المحفوظ بلفظه ومعناه فقال سبحانه (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) (50) .

وإذا نظرت إلى النصوص الشرعية في هذا الدين الأخير فيما يخص خلق الإنسان شبيهاً بالله تجدها تصرخ في وجه المُشَبَّهة ، الذين يرون أن الله خلق الإنسان على صورته ، فمن أعظم وجوه الشبه في نظرهم مشاركة الإنسان لله في العلم والمعرفة ، إلا أن النصوص الشرعية تمنع ذلك ، وتنفي وجوه المشابهة بين الله والإنسان.

فها هو القرآن الكريم ينفي عن أعظم إنسان وُجد على وجه الأرض معرفته بالغيب ، وإنه لو عرفه لما أُصيب بسوء ولكان الخير نصيبه في كل لحظات الحياة ، ولا سيما في معرفة علم الغيب ، فسيد الخلق محمدٌ صلى الله عليه وسلم ينفي عنه ربه معرفة ذلك ، فمن سواه أولى بالجهل وعدم المعرفة (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ

لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (51).

ثانياً : وعند النظر في النقطة الثانية وإلزام كاتب سفر التكوين بذكورة الله وأنوثته ، أو ذكورته على أقل تقدير نجد العقل السليم يمتنع عن التحدث بمثله تجاه ذات الله عز وجل ، لأن من مستلزماته إن كان ذكراً احتياجه إلى زوجة تؤنسه وأطفال ينجبهم منها ، ثم التناسل مثل تناسل الإنسان فَنَتَكَوَّنُ السلالة الإلهية على وجه الأرض .

وهذا التصور في نظري هو الأساس المنطقي لعقيدة اليهود في عَزَيْرَ ، وإنه ابن الله وعقيدة النصارى في بنوة عيسى ابن مريم الله ، وتسميته له بالآب ، كما أنه الأساس في تسمية الملائكة ببنات الله عند مشركي العرب ، وقد جاء الرد القرآني فدحض كل هذه الافتراءات قال تعالى في نفيه البنوة عن نفسه (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَائِلُهُمُ اللَّهُ أُنَّى يُؤْفَكُونَ (52)).

وقال عز من قائل في الرد على مشركي العرب (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ. أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ . وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (17) أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْحُلِيِّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (18) وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ

إِنَّا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (19) (53) وقد جاء الرد الجامع والمانع على افتراءات الذكورة والأنوثة والأبناء والبنات في أعظم سورة في القرآن الكريم ، ولم تدع مجالا للخرص والتخمين أو التفكير بالعقل البشري المخلوق قال تعالى : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ 1 اللَّهُ الصَّمَدُ 2 لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ 3 وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ 4) (54)

ثالثاً : وعند النظر في النقطة الثالثة ، نقطة التسلط - تسلط الله على مخلوقاته - نجد واقع حياة الإنسان لا يسند ذلك ، فقضايا الحياة التي استطاع الإنسان التسلط فيها أقل من القضايا التي عجز عن بسط سيطرته عليها ، فمن أبرز ذلك تأمين طعامه وشرابه ، فملايين البشر يموتون جوعاً في هذا العالم رغم وجود كل الوسائل التي تؤمن الغذاء ، من أرض ومياه للسقي ووجود البذور المُنبتة ، ومع ذلك لم يستطع القضاء على الجوع .

بل التسلط نزعة في الإنسان جاء الشرع لتخفيف حدتها بما يخدم الإنسان ، فوضع الضوابط اللازمة لكبح جماحه ، فها هي المرأة شريكة الرجل في الحياة نهاه الشرع عن إهانتها فضلاً عن الاعتداء عليها ، واعتبرها أسيرة عنده وأمره بالإحسان إلى هذا الأسير فقد جاء في خطبة حجة الوداع (... ألا واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنما هن عَوَانٌ عندكم ، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك ...) (55)

بل أمر الإسلام بالإحسان إلى كل شيء ، حتى عند القتل وتنفيذ أمر الإله عز وجل ، فقد صح من قوله صلى الله عليه وسلم (إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتل وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، وليُجد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته) (56)

رابعاً : وعند النظر في النقطة الرابعة من أن الله طرد آدم من الجنة خوفاً من أن يأكل من شجرة الحياة فيصبح مثل الله حياً إلى الأبد .

لا يشك عاقل في خرافة مثل هذا التصور ، وقد أسسه كاتب سفر التكوين بناءً على أن الإنسان شبيه بالله ، فإذا استسلمنا عقلاً لمثل هذا الوهم فما أضعف هذا الإله يخلق مخلوقاً فيضارعه في الصفات ويعجز عن مقاومته فلا يملك تجاهه سوى الطرد . وإذا كان الأمر كذلك فهل يستطيع مثل هذا الإله العاجز محاسبته فيما أمره به وفيما نهاه عنه ، في أخذ المعرفة عن طريق الأكل من الشجرة رغم نهيه له ، وإن ذلك مخالف لواقع حياة الإنسان من جهين :

1/ حياة الإنسان تشهد بجهله وعدم معرفته لأغلب قضايا الحياة ، وما كشفه العلم المادي من السنن الإلهية في الكون نذر يسير لما يجهله من هذه السنن ، يحاول المرة تلو المرة كشفها فيفوز مرة ويفشل مرات ، إذن ما علمه أقل مما يجهله بكثير ، لذلك تجده دوماً في السعي الدءوب إلى كشف المعرفة ، ووجود المعامل

وإجراء الأبحاث العملية خير شاهد لما أقول ، فلولا وجود الجهل في حياة الإنسان ما تحرك خطوة إلى الأمام .

2/ ينص الباري عز وجل في أحفظ كتبه بأنه العالم بما كان وبما هم كائن وبما سيكون ، فالماضي والحاضر والمستقبل مكشوف له بعلمه سبحانه (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (61)) (57)

وقال عز من قائل (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَٰكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (3)) (58)

هذا وقد نص القرآن الكريم على جهالة الإنسان وإن ذلك هو واقع حياته فقال سبحانه : (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) (59) إذن لا مجال لخرافة الأكل من شجرة المعرفة ، بل اكتساب الإنسان للمعرفة يأتي عن طريق الوحي أو التجارب العملية فحسب .

خلق الإنسان في القرآن الكريم

لقد تحدث القرآن الكريم عن خلق الإنسان من جهات متعددة فبين مادة تكوينه فقال سبحانه : (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ

جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ
مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ
(11) (60) ثم خُطِ التراب بالماء فأصبح طيناً متماسكا ،
ومنه بدأ خلق الإنسان (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ
الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ (8) ثُمَّ
سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا
مَّا تَشْكُرُونَ (9) (61)

وبين هذه التسوية فقال سبحانه : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ
صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (26) (62) وقد فسر الإمام البخاري
رحمه الله الصلصال فقال : (صلصال : طين خلط برمل فصلصل
كما يصلصل الفخار ... ، يَتَسَنَّةٌ يَتَغِيرُ ، آسن متغير والمسنون
المتغير ، حمأ جمع حمأة وهو الطين المتغير) (63)

كما نص القرآن الكريم أن خلق آدم جاء مباشرة من الله عز
وجل دون واسطة قال تعالى : (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا
خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (75) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ
خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (76) (64) كما أمر الله
ملائكته بالسجود له قال تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ
فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34))
(65)

ثم تسلسل الخلق منه عن طريق اجتماع الرجل بالمرأة قال
تعالى : (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا

تَحْمِلُ مِنْ أَنْتَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ
مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (11) (66)

النتيجة

لا مجال بعد بيان القرآن الكريم لكهانة خلق الإنسان شبيهاً بالله ، وما ذكره سفر التكوين لا يستند إلى الوحي وخبر الله ، وإنما هو تفسير اجتهادي لكلمة الخلق ، ساندتها تشابه الصفات في التسمية بين الله وبين الإنسان ، فله وجه وللإنسان وجه ، والله يدُ وللإنسان يد ، والله سمع وللإنسان سمع ، والله بصر وللإنسان بصر .

وهذا التشابه في التسمية قاد سفر التكوين إلى تشابه المسميات بين الله والإنسان ، فنسب إلى الله صفات تماثل صفات الإنسان و تساويه ، وحاشا أن يكون الأمر كذلك ، لأن الله نفى المشابهة بينه وبين مخلوقاته من الإنسان وغيره قال تعالى : (فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (11) (67)

فله ما يليق بجلاله وعظمته وللإنسان ما يليق بضعفه وعجزه ، وتشابه الأسماء لا يقود إلى تشابه المسميات في المخلوق فما بالك في الله ، فللإنسان يد وللجمل يد فهل هي متماثلة ؟ فإذا كان ذلك التشابه منفيًا في المخلوق فالله أولى بالنفي عقلاً ، كيف وقد ساندته النص كما سبق .

المبحث الثالث : صفات الله الإنسانية في سفر التكوين

من منطلق التشابه في الخلق بين الله والإنسان يصف سفر التكوين ربه بصفات الإنسان فتجد الله فيه يخاف كما يخاف الإنسان ، وله قلب وروح ويتنسم ويشم الروائح ، ويأكل مثل أكل الإنسان من الزبد واللبن ولحم العجل، ويحزن مثل حزنه ، ويمشي مثل مشيه .

وينزل لرؤية الأبراج والمدن ، ويقف على سُلّم مثل وقوف الإنسان ، يجيء إلى المكان ويغادره ، ويخبي بعض أفراد الإنسان كما يخبي الإنسان أخاه الإنسان ، ويسير على قدميه في الأرض لتفقد عباده ويحادثهم ويكذبون عليه فَيُكَذِّبُهُمْ في وجوههم ، ويستمع إلى الحكايات والروايات الشخصية ويحاور أفراداً للبحث عن مصالحهم ...

وإليك تفصيل صفات الله الإنسانية بنصوص سفر التكوين ، وأجلت النقد إلى نهاية المبحث لأن البشر يدركون الفرق بين الخالق والمخلوق ، وجعلته مختصراً لعلم البشر بالبون الشاسع بين العظيم والعاجز ، وبين المريض ومن يَشْفِي من المرض ... لذا لم أتطرق إلى مناقشة كل صفة على حدة ، بل حصرت النقد في ذكر النصوص التي وردت في كتاب الله عز وجل أو في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو اقتضاه العقل ، كما ذكرت القواعد التي يجب تعاطيها تجاه ذات الله عز وجل في هذا الباب .

1/ معرفة الخير والشر : يذكر سفر التكوين أن الله منع آدم وحواء من أكل ثمر الشجرة التي في وسط الجنة ، فاحتالت الحية

على حواء وزينت لها الأكل قائلة : (بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تتفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر) (⁶⁸)

2/ كذب الله : سجل سفر التكوين محاوراة الحية وحواء (وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله ، فقالت : للمرأة أحقاً قال الله لا تأكل من هذه الشجرة .

فقالت : المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل ، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال: الله لا تأكل منه ولا تمسأه لنألا تموتا فقالت : الحية للمرأة لن تموتا) (⁶⁹) ففي ضوء هذا النص كذب الله على حواء إذ أخبرها بأنكما - آدم وحواء - ستموتان متى أكلتما من ثمر هذه الشجرة ، وكانت الحية عارفة بكذب الله ، فهيأت حواء للأكل مع تقديم اليقين إليهما بعدم الموت بعد الأكل .

3/ خوف الله:

أ - يحكي سفر التكوين أن الله غلبته حالة الخوف من الإنسان بعد أن أكل من شجرة المعرفة ، فطرده من الجنة التي كان يعيش فيها خوفاً من أن يأكل من شجرة الحياة فيحيا إلى الأبد ، وأقام حراسة على الطريق المؤدي إلى تلك الشجرة (⁷⁰)

ب- يذكر سفر التكوين بعد حادثة طوفان نوح عليه السلام أن الناس كانوا يتكلمون بلغة واحدة ، وإنهم وضعوا خططاً للبناء باللين المشوي ، وبنوا مدينة وبرجاً رأسه في السماء ، ونزل الرب لرؤية المدينة والبرج فخافهم لتوحدهم في اللغة وإتقان العمل

وتطويع كل ما يريدون عمله ، فبلبل ألسنتهم حتى لا يفهم أحدهم كلام الآخر وبددهم في الأرض (فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم بينونهما

وقال : الرب : هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتدأؤهم بالعمل ، والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه ، هَلَمْ ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض ، فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض ، فكفوا عن بنيان المدينة ، لذلك دعي اسمها بابل، لأن الرب بلبل لسان كل الأرض ، ومن هنا بددهم الرب على وجه كل الأرض) (⁷¹)

4/ قلب الله : إله سفر التكوين له قلب مثل قلب الإنسان يسب ويشتم ويتأسف على النتائج المؤلمة ، وانظر إلى حالة قلبه بعد حادثة الطوفان (وقال الرب في قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان ، لأن تصور قلب الإنسان شريراً منذ حادثته، ولا أعود أيضاً أُميتُ كل حي كما فعلت) (⁷²)

5/ روح الله :

أ- يصف سفر التكوين روح الله بأنه كالطير يرف ويطير منفصلاً عن الله (وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرفُ على وجه الماء) (⁷³)

ب- خرجت روح الله من جسد الإنسان لَزِيغَانِهِ ، فهو الآن بغير روح الله (فقال الرب لا يدين رُوحِي في الإنسان إلى الأبد ، لَزِيغَانِهِ هو بشر وتكون أيامه مئة وعشرين سنة) (74)

ت - وقد دخلت هذه الروح على حد قول فرعون برواية سفر التكوين في جسد يوسف عليه السلام ، بعد تعبيره للرؤيا (فقال فرعون لعبيده هل نجد مثل هذا رجلاً فيه روح الله) (75)

ث- ومن منطلق هذا الحلول حل الإله في ثلاثة رجال ، مروا في طريقهم على إبراهيم لإهلاك قوم لوط في سدوم وعمورة (وظهر له الرب عند بُلُوطَاتٍ مَمَرًا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار ، فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه ، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض) (76)

6- أكل الله : بما أن الله مثل الإنسان فلا مانع أن يأكل ما يأكله الإنسان ، ويستظل بظل شجرة ، ففي قصة الرجال الثلاثة السابقة الذين حل فيهم الإله يقول : سفر التكوين عن أكله واستظلاله (وقال يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك ، لِيُؤْخَذَ قَلِيلٌ مَاءٍ وَاغْسَلُوا أَرْجُلَكُمْ وَاتَكُونُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَأَخَذَ كَسْرَةً خَبْزٍ فَتَسْنَدُونَ قُلُوبَكُمْ ثُمَّ تَجْتَازُونَ ، لأنكم قد مررتم على عبدكم فقالوا هكذا تفعل كما تكلمت

فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال : أسرع بثلاث كِئَلَاتٍ دَقِيقًا سَمِيذًا، اعجني واصنعي خبز ملة ، ثم ركض إبراهيم إلى

البقر وأخذ عَجْلاً رَخْصاً وجيذا وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله ، ثم أخذ زُبْداً ولبناً والعجل الذي عمله ووضعها قدامهم ، وإذا كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا) (77)

7- وقوف الله على سُلَم : يحكي سفر التكوين حلم يعقوب عليه السلام - وأحلام الأنبياء حق وصدق - فقد رأى سلماً منصوباً على الأرض يمس رأسه السماء ، وأن الله واقف عليه وملائكته تهبط وتصعد عن طريقه ، وباركه الرب في ذلك المكان (ورأى حلماً ، وإذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء ، وهو ذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها ، وهو ذا الرب واقف عليها فقال : أنا الرب إله إبراهيم أبوك وإله إسحاق ، الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك) (78)

8- مشي الله :

أ- يخبر سفر التكوين بمشي الله ، وأن آدم وحواء سمعا صوت مشيه في الجنة ، إذن مشيه مشابه لمشي الإنسان (وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار ، فاخْتَبَأَ آدم وامراته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة ، فنادى الرب الإله آدم وقال : له أين أنت ؟ فقال : سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأنني عريان فاخْتَبَأْتُ) (79)

ب- كما يخبر سفر التكوين مشي الله مع أَخْثُوخ الذي يرتبط بآدم في الجد السادس ، ولم يتشرف بالسير معه إلا بعد ولادة ابنه مَثُور

شَالِح (وسار أَخْثُوْخ مع الله بعد ما وَلَدَ مَثُوْشَالِح ثلاث مئة سنة ، وولد بنين وبنات) (80)

9- حزن الله : يُصاب رب سفر التكوين بالحزن كإصابة الإنسان عند رؤيته النتائج المؤلمة ، فقد أصيب هذا الرب بالحزن عند ما كثر شر الإنسان ، وراه ربه لا يفكر إلا في الشر (ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض ، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم ، فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض ، وتأسف في قلبه فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته ، الإنسان مع بهائم ودبّابات وطيور السماء ، لأنني عملتهم) (81)

10- تَنَشَّقُ الله : إله سفر التكوين يحب الذبح وحرق اللحم ، لذا كثر ذكر المحرقة في هذا السفر ولاسيما في عهد يعقوب عليه السلام ، فهو يستنشق رائحة اللحم المحروق ويحب رائحته (وبنى نوح مذبحاً للرب ، وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة واصْغَدَ مُحْرَقَات على المذبح ، فتنسم الرب رائحة الرضا) (82)

11- تخبئة الله : يذكر سفر التكوين أن الله أخفى أَخْثُوْخ بعد ما وَلَدَ له مَثُوْشَالِح وخبأه عن الناس ، ولم تعد الناس تراه لإخفاء الله إياه ، فإخفاء الله في هذه القصة شبيه بإخفاء البشر بعضهم لبعض (83)

12- عدم علم الله السابق : رب سفر التكوين لا يعلم بالحدث إلا بعد وقوعه ، فلا يملك علماً سابقاً عن الأحداث قبل وقوعها ، فهو يرى لئِنَّة مكروهة عند زوجها يعقوب عليه السلام فيفتح رحمها للولادات المتكررة (ورأى الرب أن لئِنَّة مكروهة ففتح رحمها ، وأما رَاحِيل فكانت عاقراً ، فحبلت لئِنَّة وولدت ابناً ودعت اسمه رَأُوْبَيْن ، لأنها قالت إن الرب قد نظر إلى مذلتني إنه الآن يحبني رجلي ، وحبلت أيضاً وولدت ابناً وقالت إن الرب قد سمع أنني مكروهة فأعطاني هذا أيضاً ، فدعت اسمه شِمْعُون) (84)

13- محاورة الله لغير الأنبياء : عند قراءتك لقصة ابني آدم اللذين أسماهما سفر التكوين قَايَيْن و هَابِيل ، واغتيال الأول من الآخر لقبول قربانه دون الثاني فقتله ، ومحاورة الله للقاتل شبيهة بمحاورة إنسان مسالم لإنسان معتدي ، فالله يسأل في غاية الأدب ويجيبه القاتل بغاية السوء ، فما أضعف هذا الرب الذي يسيء إليه أضعف خلقه (وحدث إذ كانا في الحقل أن قَايَيْن قام على هَابِيل أخيه وقتله ، فقال : الرب لقايين : أين هابيل أخوك فقال : لا أعلم أحارس أنا لأخي ، فقال : ماذا فعلت صوت دم أخيك صارخ إليّ من الأرض) (85)

14- التكذيب في الوجه: يسأل إله سفر التكوين الذي حل في الرجال الثلاثة الذين استضافهم إبراهيم ، وسأله عن زوجته سارة (وقالوا له أين سارة امرأتك فقال : ها هي في الخيمة ... وكانت

سارة سامعة في باب الخيمة وهو وراءه ... فضحكت سارة في باطنها قائلة : أبعد فنائي يكون لي تنعم وسيدي قد شاخ ، فقال : الرب لإبراهيم لماذا ضحكت سارة ... فأنكرت سارة قائلة: لم أضحك لأنها خافت فقال: لا بل ضحكت) (86) إنها لمحاورة إنسان لإنسان، يصعب على العقل تصديقها أن يكون أحد طرفيها هو الخالق عز وجل.

15 نسيان الله : قوس قزح علامة تذكير لله في سفر التكوين ، حين ينسى الميثاق الذي أبرمه مع مخلوقاته بعد حادثة الطوفان ، وإنه لا يهلكها كما أهلك ما سبقها بطوفان نوح عليه السلام) وضعت قوسي في السحاب فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض ، فيكون متى أنشر سحاباً على الأرض وتظهر القوس في السحاب أني أذكر ميثاقي ، الذي بيني وبينكم وبين كل نفس حية في كل جسد ، فلا تكون أيضاً المياه طوفاناً لتهلك كل ذي جسد ، فمتى كانت القوس في السحاب أبصرها لأذكر ميثاقاً أبدياً بين الله وبين كل نفس حية ، في كل جسد على الأرض) (87)

16- المكان يحيط بالرب : ذكر سفر التكوين قصة خروج يعقوب من بئر السبع للذهاب إلى حاران ، فأواه المبيت في الخلاء فظهر له الرب في النوم (فاستيقظ يعقوب من نومه وقال : حقاً إن الرب في هذا المكان وأنا لم أعلم وخاف ، وقال : ما أُرهب هذا المكان ، ما هذا إلا بيت الله وهذا باب السماء) (88) فالمكان الذي ظهر

فيه الرب أحاط به ، فما أضعفه إذ يحيط به مخلوق من مخلوقاته ، ويحصره في دائرة معينة .

17- ظهور الرب : ظهور الرب للإنسان ظاهرة بارزة في سفر التكوين ، تكررت مرات عديدة في هذا السفر ، ولها صورتان :
أ- يظهر الرب مناماً فيعطي تعليماته وإرشاداته للإنسان الذي ظهر له ، من أمر ونهي وتوبيخ وطمأنينة ... ، ولا يشترط في هذه الصورة أن يكون الرائي مبعوثاً من عند الله ، كما حدث لأبيمالك حين أخذ سارة من إبراهيم (وقال: إبراهيم عن سارة امرأته هي أختي

فأرسل أبيمالك ملك جرّار وأخذ سارة ، فجاء الله إلى أبيمالك في حلم الليل وقال : له ها أنت ميت من أجل المرأة التي أخذتها ... ، ألم يقل هو لي إنها أختي وهي أيضاً نفسها قالت : هو أخي ، بسلامة قلبي ونقاوة يدي فعلت هذا... ، فالآن رد امرأة الرجل فإنه نبي فيصلي لأجلك فتحيا ، وإن كنت لست تردّها فاعلم أنك ميت تموت أنت وكل من لك) (89)

وحدث مثل ذلك لـ لابان الآرامي والد زوجتي يعقوب عليه السلام ، ليحذره من الإساءة إليه (وأتى الله إلى لابان الآرامي في حلم الليل ، وقال : له احترز من أن تكلم يعقوب بخير أو شر) (90)

ب- ظهور الرب لبعض مبعوثيه لاسيما إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام ، وظهوره للأخيرين متكرر من جهة وعلني يقظة

من جهة أخرى ، فقد ظهر لإبراهيم في صورة ثلاثة رجال عانياً في وضوح النهار من غير نوم كما سبق ، وظهر لإسحاق أكثر من مرة ، فمرة علناً حال اليقظة وحاوره وأرشده (وظهر له الرب وقال : لا تنزل إلى مصر و اسكن في الأرض التي أقول لك ، تغرب في هذه الأرض فأكون معك وأباركك) (91)

ومرة ظهر له مناماً وعرفه بنفسه قائلاً (ثم صعد من هناك إلى بئر سبع ، فظهر له الرب في تلك الليلة وقال : أنا إله إبراهيم أبيك ، لا تخف لأنني معك وأباركك) (92)

وأما ظهوره ليعقوب عليه السلام فكله علني يقظة من غير نوم (ثم قال : الله ليعقوب قم اصعد إلى بيت إيل وأقم هناك ، واصنع هناك مذبحاً لله الذي ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك) (93) كما ظهر له عند مجيئه من فدّان آرام (وظهر الله ليعقوب أيضاً حين جاء من فدّان آرام وباركه وقال : له الله اسمك يعقوب ، لا يُدعى اسمك فيما بعد يعقوب ، بل يكون اسمك إسرائيل فدعى اسمه إسرائيل) (94)

وكان آخر ظهور الله ليعقوب في أرض كنعان (وقال : يعقوب ليوسف الله قادر على كل شيء ، ظهر لي في لوز في أرض كنعان وباركني ، وقال: لي ها أنا أجعلك مثمراً وأكثرك وأجعلك جمهوراً من الأمم) (95)

وتتبع ظهور الله في سفر التكوين يقود القارئ إلى أن الله أوقف نفسه على خدمة بني إسرائيل ، فكلما احتاجوا إليه يظهر لهم لتقديم المساعدة المطلوبة دون تأخير .

18- مصارعة الرب مع يعقوب : يصل الأمر بسفر التكوين إلى حد تصوير الله بأنه أضعف من ولد آدم ، فيصارع مخلوقه يعقوب ليلة كاملة ، ولا يتمكن من إلحاق الهزيمة به ولا يستسلم له يعقوب ، رغم علمه أن خصمه في المصارعة هو الله (ثم قام في تلك الليلة وأخذ امرأتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر وعبر مَخَاضَةَ يَبُوقَ ، أخذهم وأجازهم الوادي وأجاز ما كان له ، فبقي يعقوب وحده ، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حُقَّ فَخَذَهُ فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه ، وقال : أطلقني لأنه قد طلع الفجر .

فقال : لا أطلقك إن لم تباركني ، فقال : له ما اسمك فقال : يعقوب فقال : لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل ، لأنك جاهدت مع الله والناس وَقَدَرْتَ ، وسأل يعقوب وقال : أخبرني باسمك فقال : لماذا تسأل عن اسمي ، وباركه هناك فدعا يعقوب اسم المكان فَنِيئِيلَ قائلاً : لأنني نظرت الله وجهاً لوجه وُجِّيتُ نفسي ، وأشرق له الشمس إذ عبر فُئُويل وهو يَخْمَعُ على فخذه ، لذا لا يأكل بنو إسرائيل عرق النساء الذي على حُقِّ الفخذ إلى هذا اليوم ، لأنه ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النساء) (96) فهل يمكن أن يكون هذا الحدث وحياً بلفظه ومعناه ، أو بمعناه فقط

، ولا شك أن وجوده في هذا السفر كافٍ لحرمانه من الانتساب إلى الله .

19- استراحة الله : يخبر سفر التكوين أن الله فرغ من عمل الخلق مع نهاية اليوم السادس ، فاستراح في اليوم السابع وباركه لأنه استراح فيه (وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل ، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل ، وبارك الله اليوم السابع وقده ، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقا) (97)

20- كما أنك لا تعدم في هذا السفر وجود نصوص تقود إلى نفي علم الله السابق قبل وقوع الحدث ، ومن ثم يتغير رأيه بعد رؤية النتائج) (98)

وفي ضوء هذه النتائج المتغيرة تجده يلعن (99) ويوبخ (100) وينتقم (101) ويحابي (102) ويختار (103) ويضرب (104) وينادي (105) ويذهب ويجيء (106) وله وجه مثل وجه الإنسان (107) ويغلق الأرحام ويفتحها (108) ويخاطب الحامل ويخبرها بصفات الحمل (109) ويخطط كمهندس معماري يضع المواصفات المطلوبة (110) وخياط وصانع ألبسة (111).

المناقشة والنقد

لن أطيل في مناقشة (صفات الله الإنسانية) لأن البشر يدركون الفارق العظيم بين الخالق والمخلوق ، بل سأقتصر على جُمَلِ

ترشد العقل وتنير له الطريق ، وأعضدها بذكر النصوص السمعية قرآناً وسنة واضحة الدلالة ، وأعقبها بذكر القواعد الأساسية التي يجب تبنيها على كل إنسان عاقل ، يسمح لعقله بممارسة التفكير ، فضلاً عن مسلم يؤمن بدين الله الأخير.

أولاً: ذكر القرآن الكريم قضية الأكل من الشجرة ، ومن الذي شجع آدم وزوجه على الأكل ، مع تحديد النتيجة التي ترتبت على ذلك ، فلا مقام أمام العقل السليم إلا التنبئ لما جاء في القرآن الكريم ، لأنه وحي الله الأخير لفظاً ومعنى ، ولم تصل إليه يد التحريف ، قال تعالى : (وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) (19) فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (22) (112) .

ثانياً : ما نسبته الحية إلى الله في سفر التكوين لا مقام له في الصدق ، بل جزم القرآن الكريم أن الله نهى آدم وزوجه من الأكل من الشجرة - ربما اختباراً وامتحاناً - فزين لهما الشيطان لا الحية فأكلا منها ، فظهرت لهما سوءاتهما وعرفا أنهما عاريان ، دون بقية المعارف التي يحتاج إليها الإنسان في حياته ، قال تعالى :

(وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً (115) وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (116) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا
عَدُوُّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117) إِنَّ لَكَ أَلَا
تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى
(119) فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ
وَمُلْكٍ لَا يَبُولَى (120) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ
عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) (113)

وقد أخبر القرآن الكريم أن الله عرّف آدم بأسماء الأشياء ، وإنه
لم يعرفها عن طريق الأكل من الشجرة ، بل المعرفة المكتسبة عن
طريق الأكل انحصرت في شعورهما بالعري فحسب ، قال تعالى
: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي
بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) (114)

ثالثاً : أما قضية خوف الله من آدم لنلا يأكل من شجرة الحياة ...
فخرافة من خرافيات سفر التكوين ، فالله أجل وأعظم من تصور
هذا السفر ، فحجم الإنسان في مخلوقات الله لا يتعدى حجم حلقة
ملقاة في فلاة من الأرض ، فما حجم هذه الحلقة في دائرة
المخلوقات المتعددة ... ، وانظر إلى بعض قدرة الله في مخلوقاته
حتى تتعرف على عظمة الخالق وعجز الإنسان قال تعالى :
(يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ
وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (104) (115) وقال سبحانه : (وَتَرَى

الْجِبَالِ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَثَقَنَ
كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (88) (116)

فلو استعمل كاتب سفر التكوين عقله وحل حادثة الطوفان لقاده ذلك إلى التعرف على قدرة الله وعظمته ، ولمنعه ذلك من ذكر مثل هذه القضايا غير الواقعية التي لا رصيد لها من الوحي. رابعاً : أما بقية صفات الله البشرية فلا مكان لمناقشتها في العقل السليم ، لمخالفتها واقع الحياة البشرية من جهة وواقع حياة المخلوقات الأخرى جمعاء من جهة أخرى ، والخوض في مناقشة مثل ذلك مضيعة للوقت وإهانة ينسبها المناقش إلى عقله وعقل من يقرأ له ، والترفع عن مثل ذلك مطلب عقلي يقود إلى تقدير الله حق التقدير وتعظيمه حق التعظيم .

وأعظم ما يكشف هذه الحقيقة هي القواعد التي استنبطها علماء الإسلام من نصوص الكتاب والسنة تجاه صفات الله عز وجل ، ولا يسعني ذكرها جميعاً ، وسأكتفي بذكر ما يتناسب مع الصفات التي تناولها سفر التكوين فمن أعظم هذه القواعد:

القاعدة الأولى: لا يُقاس الله بمخلوقاته

وتعني هذه القاعدة تنزيه الله جل وعلا أن يشبه شيء من صفاته شيئاً من صفات مخلوقاته (117) وقد جاء التوجيه الرباني إلى هذه القاعدة في وحيه الأخير في العديد من آياته ، قال تعالى : (فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ

البصيرُ (11) (118) وقال سبحانه : (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ (73) فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (74) (119) فمن صفات المؤمنين بالله إيمانهم بأن الله ليس كمثله شيء ، فينفون عن صفاته التكيف والتمثيل ، فلا يقيسونه سبحانه بخلقه . (120)

فلا يُقاس بخلقه ، ولا يستعمل في حقه الأقيسة التي تقتضي المساواة والمماثلة بين المقيس والمقيس عليه فيما يتصل بالله عز وجل ، فلا يستعمل في حقه قياس التمثيل الأصولي الذي يعني وجود مماثلة بين الأصل والفرع ، ولا قياس الشمول المنطقي الذي يعني الاستدلال بكلي على جزئي لدخوله فيه ، لأن هذا القياس مبني على استواء الأفراد في الكلي وتمائلهم فيه .

فالقياسان ممتنعان فيما يتصل بالله ، فلا مساواة بين الله وبين شيء من مخلوقاته ، فلا يستعمل في حقه إلا قياس الأولى ، ومضمونه : كل كمال ثبت للمخلوق وأمكن أن يتصف به الخالق فالخالق أولى به من المخلوق ، وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أولى بالتنزه عنه (121)

القاعدة الثانية: كل صفة فيها نقص بوجه من الوجوه تنزه عنها المخلوق فالله أولى بالتنزه عنها.

وعند النظر إلى الصفات السابقة التي اتصف بها رب سفر التكوين تجد فيها نقصا بوجه من الوجوه ، كخوفه سبحانه أن

يشاركه آدم في دوام الحياة ... ، ويحزن ويخيب الأفراد ويسمع الخبر من مخلوقه فيستوثق بنفسه لعدم علمه السابق، ويحاور مخلوقه فيقسو عليه في الكلام ويسئ الأدب إليه ، ويكذب عليه مخلوقه فلا يملك إلا أن يكذبه في وجهه ، وينسى ، ويحيط به المكان كما يحيط المكان بالإنسان ، وله ظهور لإعانة بني إسرائيل ، ويصارع ابن إنسان فلا يستطيع التغلب عليه ، ويستريح من تعب العمل ...

كل هذه الصفات صفات نقص يتنزه الإنسان من الاتصاف بها فالله أولى بالتنزه عنها ، لذا يجب على الإنسان العاقل أن ينفي عن الله مثل هذه الصفات التي تقود إلى النقص والعجز وما لا يليق بالله عز وجل .

ومتى كانت الصفة نقصاً لا كمال فيها فهي ممتنعة في حقه عز وجل ، كالموت والجهل والنسيان والعجز والعمى ونحوها ، وقد جاء القرآن الكريم بنفيها عن الله وإثبات نقيضها قال تعالى : (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا) (58) (122)

وقال سبحانه حكاية عن قول موسى عليه السلام رداً على تساؤلات فرعون (قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى) (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50) قَالَ فَمَا بَالُ الْفُرُونَ الْأُولَى (51) قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52) (123) وقال : عز من قائل (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا

كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ
اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا
قَدِيرًا (44) (124).

وعاقب جل وعلا الواصفين له بمثل هذه الصفات ، فقال : في
عقاب اليهود (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَعْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا
قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ...) (125) وقال: فيهم
أيضاً سبحانه : (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ
أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُونِ
عَذَابِ الْحَرِيقِ (181) (126).

وإن كانت الصفة كمالاً في وجهٍ ونقصاً في وجهٍ آخر جاز
وصف الله بها في الوجه الأول وامتنع وصفه بها في الوجه الآخر
، ولا تأتي مثل هذه الصفات إلا في مقابلة من يعاملون الفاعل
بالمثل ، لأنها حينئذ تدل على أن فاعلها قادر على مقابلة عدوه
بمثل فعله أو أشد ، مثل صفة المكر والخداع والاستهزاء قال
تعالى : (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ
وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (30) (127) وقال :
عزمن قائل (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا
إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالً يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا
قَلِيلًا (142) (128) وقال: سبحانه : (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي
طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (15) أُولَئِكَ الَّذِينَ اسْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا
رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (16) (129).

القاعدة الثالثة : الاتفاق في الأسماء لا يقتضي التساوي في المسميات

وتعني هذه القاعدة أن اتفاق الاسم لا يقود إلى المساواة في المسمى ، فإننا نقول مثلاً : يد الحقيقة ويد الجمل ويد الإنسان ، فاليد في كل تركيب من التراكيب الثلاثة لها معنى يخصها ، مبايناً لغيره.

ومثل ذلك ما أخبرنا الله أن في الجنة لبناً وعسلاً وخمراً ونعلم أن في الدنيا لبناً وعسلاً وخمراً ، وحقائق الجنة وأن كانت موافقة في التسمية للموجود في الدنيا فإنها لا تماثلها البتة ، فإذا كان هذا التباين قائماً بين المخلوقات فالخالق أعظم مباينة من مباينة المخلوق للمخلوق.

ويترتب على ذلك التخلي عن محذور:

التمثيل : ويعني اعتقاد المثبت بأن ما أثبتته من صفات لله مماثل لصفات المخلوقين ، وهو اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل ، أما السمع فلقوله تعالى : (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (65)) (130) وأما العقل : فإننا نعلم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تبايناً في الذات ، وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات ، حتى تُلائم كل صفة موصوفها.

أضف إلى ذلك أن الرب لن يكون كاملاً من جميع الوجوه وهو يشابه في صفاته مخلوقه المرئوب المفتقر إلى من يُكمله ، إن ذلك انتقاص لحق الخالق ، لأن تشبيهه الكامل بالناقص يجعله ناقصاً .

القاعدة الرابعة : قطع الأطماع عن إدراك حقيقة الكيفية ، ويعنون بذلك إقناع النفس البشرية بعدم قدرتها على إدراك كيفية صفات الله ، لأن إدراكها مستحيل قال تعالى : (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) (131) فالفعل (يحيطون) فعل مضارع ، والمضارع ينحل عند النحويين عن مصدر وزمن ، (فالإحاطة) تكمن في مفهوم هذا الفعل ، وتسلط النفس على الإحاطة فيكون المعنى : لا إحاطة للعلم البشري برب السماوات والأرض ، وبذلك ينتقي جنس أنواع الإحاطة - بما في ذلك المستندة إلى العلم - ويترتب على ذلك التخلي عن محذور

التكليف : ويعني اعتقاد المثبت لصفات الله أن كيفية صفاته كذا وكذا من غير تقييدها بمماثل ، وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل ، أما السمع فلقوله تعالى : (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) (36) (132) ومن المتيقن أنا لا نعلم كيفية صفات ربنا عز وجل ، رغم أنه أخبرنا بصفاته ولكنه لم يخبرنا بكيفيتها ، ومتى كَيْفَنَاهَا كان قَفْوًا لما ليس لنا به علم .

كما أن التكيف منتفٍ عقلاً ، لأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته ، أو العلم بنظيره ، وكل ذلك منتفٍ في كيفية صفات الله ، فوجب بطلان تَكْيِيفُهَا (133)

القاعدة الخامسة: صفات الله توقيفية : ويعنون بهذه القاعدة أن صفات الباري عز وجل لا تثبت إلا بنص قرآني أو بنص حديثي معلوم الصحة، وبذلك أحكم علماء الإسلام إغلاق باب الصفات، وقطعوا الطريق أمام الأطماع البشرية، ومن تُسَوِّلَ له نفسه الدخول إلى ما يختص بالله ، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الصفات ، فوجب الوقوف في ذلك على النص ، فلا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، لا يُتَجَاوَزُ في ذلك الكتاب والسنة.

الهوامش

-
- 1 (سورة الحجر آية 15 .
 - 2 (صفحة الغلاف .
 - 3 (سورة الأعراف آية 145 .
 - 4 (سورة الأعراف آية 154 .
 - 5 (سفر التكوين ، الإصحاح الخمسون فقرة 25 ص 87 .
 - 6 (الإصحاح الأول ، فقرة 1-2 ، ص 3 .
 - 7 (ولا شك أن ذلك معارض لما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)
أن أول ما خلق الله القلم فقال : اكتب فقال : ما أكتب قال : أكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد) سنن الترمذي ، كتاب القدر ... ، باب ما جاء في الرضا بالقدر ، رقم الحديث 2081 .
 - 8 (سفر التكوين ، الإصحاح الأول ، فقرة 9-10 ص 3 .

- 9 (سفر التكوين ، الإصحاح الثاني ، فقرة 4 ص 5 .
- 10 (ص 9-10 .
- 11 (ص 10 .
- 12 (سفر التكوين ، الإصحاح السابع ، فقرة 10-13 ، ص 12 .
- 13 (سفر التكوين ، الإصحاح العاشر ، فقرة 8-10 ، ص 16 .
- 14 (سفر التكوين ، الإصحاح العاشر ، فقرة 18-19 ، ص 16 .
- 15 (سفر التكوين ، الإصحاح العاشر ، فقرة 11-12 ، ص 16 .
- 16 (سفر التكوين ، الإصحاح العاشر ، فقرة 25 ، ص 16 .
- 17 (سفر التكوين ، الإصحاح الثالث عشر ، فقرة 10 ، ص 20 .
- 18 (سفر التكوين ، الإصحاح الخامس عشر ، فقرة 15 ، ص 23 .
- 19 (سفر التكوين ، الإصحاح 18 ، فقرة 20-22 ، ص 26 .
- 20 (سفر التكوين ، الإصحاح 22 ، فقرة 1-14 ، ص 32-33 .
- 21 (سفر التكوين ، الإصحاح 22 ، فقرة 19-21 ، ص 33 .
- 22 (سفر التكوين ، الإصحاح 23 ، فقرة 1-4 ، ص 34 .
- 23 (انظر سفر التكوين ، الإصحاح 24 ، ص 35-36 .
- 24 (سفر التكوين ، الإصحاح 25 ، فقرة 18 ، ص 39 .
- 25 (سفر التكوين ، الإصحاح 26 ، فقرة 34-35 ، ص 41-42 .
- 26 (سفر التكوين ، الإصحاح 27 ، فقرة 41-45 ، ص 44 .
- 27 (وهم : رآوبين و شمعون و لوي و يهوذا .
- 28 (وتعني الجملة هل انا الله الذي منعك الحمل .
- 29 (سفر التكوين ، الإصحاح 30 ، فقرة 1-3 ، ص 47 .
- 30 (اللقاح نبت عشبي معمر سام من فصيلة بادنجان ، ويسمى الآن بـيُروُح ينبت برّيا في بعض مناطق الشام . انظر المعجم الوسيط ج 2 ص 838 .
- 31 (سفر التكوين ، الإصحاح 30 ، فقرة 14-16 ، ص 48 .
- 32 (انظر سفر التكوين ، الإصحاح 32 ، فقرة 28 ، ص 54 .
- 33 (سفر التكوين ، الإصحاح 31 ، فقرة 19-21 ، ص 50 .
- 34 (سفر التكوين ، الإصحاح 35 ، فقرة 1-4 ، ص 57 .
- 35 (انظر سفر التكوين ، الإصحاح 34 كاملاً ص 55-57 .
- 36 (سفر التكوين ، الإصحاح 34 ، فقرة 26-29 ، ص 57 .
- 37 (سفر التكوين ، الإصحاح 38 ، فقرة 1-5 ، ص 63 .
- 38 (فقرة 38 ، ص 54 .
- 39 (فقرة 10 ، ص 58 .
- 40 (فقرة 1-2 ، ص 71 .
- 41 (سفر التكوين ، الإصحاح 48 ، فقرة 1-2 ، ص 82 .

- 42 (سفر التكوين ، الإصحاح 48 ، فقرة 1-2 ، ص 82 .
- 43 (سفر التكوين ، الإصحاح 49 ، فقرة 29 - 33 ، ص 85 .
- 44 (سورة الشورى آية 11 .
- 45 (سفر التكوين ، الإصحاح 1 ، فقرة 26 ، ص 4 .
- 46 (سفر التكوين ، الإصحاح 1 ، فقرة 26 ، ص 4 .
- 47 (سفر التكوين ، الإصحاح 5 فقرة 1-2 ، ص 9 .
- 48 (فقرة 5-6 ، ص 14 .
- 49 (سفر التكوين ، الإصحاح 3 ، فقرة 22-24 ، ص 7 .
- 50 (سورة فاطر ، آية 15 .
- 51 (سورة الأعراف ، آية 188 .
- 52 (سورة التوبة ، آية 30 .
- 53 (سورة الزخرف ، آية 15-19 .
- 54 (سورة الإخلاص ، آية 1-4 .
- 55 (سنن الترمذي ، كتاب الرضاع ، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها ، رقم الحديث 1083 .
- 56 (رواه مسلم ، كتاب الصيد والذبح وما يؤكل من الحيوان ، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة رقم الحديث 3615 .
- 57 (سورة يونس ، آية 60 .
- 58 (سورة سبأ ، آية 3 .
- 59 (سورة الأحزاب ، آية 72 .
- 60 (سورة فاطر ، آية 11 .
- 61 (سورة السجدة ، آية 7-9 .
- 62 (سورة الحجر ، آية 26 .
- 63 (فتح الباري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب خلق آدم وذريته ، ج 6 ص 361 .
- 64 (سورة ص ، آية 75-76 .
- 65 (سورة البقرة ، آية 34 .
- 66 (سورة فاطر ، آية 11 .
- 67 (سورة الشورى ، آية 11 .
- 68 (سفر التكوين ، الإصحاح 5 ، ص 6 .
- 69 (سفر التكوين ، الإصحاح 4-1 ، ص 6 .
- 70 (انظر سفر التكوين ، الإصحاح 3 ، فقرة 23 - 24 ، ص 7 وقد سبق ذكره .
- 71 (سفر التكوين ، الإصحاح 11 ، فقرة 5-8 ، ص 17 .

- 72 (سفر التكوين ، الإصحاح 8 ، فقرة 21 ، ص .
- 73 (سفر التكوين ، الإصحاح الأول ، فقرة 2 ، ص 3 .
- 74 (سفر التكوين ، الإصحاح 6 ، فقرة 3 ، ص 10 .
- 75 (سفر التكوين ، الإصحاح 41 ، فقرة 38 ، ص 69 .
- 76 (سفر التكوين ، الإصحاح 18 ، فقرة 1-5 ، ص 25 .
- 77 (سفر التكوين ، الإصحاح 18 ، فقرة 3-8 ، ص 25 .
- 78 (سفر التكوين ، الإصحاح 28 ، فقرة 12-13 ، ص 45 .
- 79 (سفر التكوين ، الإصحاح 3 ، فقرة 8-10 ، ص 6 .
- 80 (سفر التكوين ، الإصحاح 5 ، فقرة 22 ، ص 10 ، وانظر مشيه مع الرجال الثلاثة في قصة إبراهيم السابقة ، سفر التكوين ص 25-26 .
- 81 (سفر التكوين ، الإصحاح 6 ، فقرة 5-8 ، ص 10 .
- 82 (سفر التكوين ، الإصحاح 8 ، فقرة 20-21 ، ص 14 .
- 83 (انظر سفر التكوين ، الإصحاح 6 ، فقرة 23 ، ص 10 .
- 84 (سفر التكوين ، الإصحاح 29 ، فقرة 31-33 ، ص 47 .
- 85 (سفر التكوين ، الإصحاح 4 ، فقرة 8-10 ، ص 8 ، وانظر أيضا محادثة الله لأبيمالك تجاه سارة سفر التكوين ، الإصحاح 20 ، فقرة 1-7 ، ص 29-30 .
- 86 (سفر التكوين ، الإصحاح 18 ، فقرة 6-15 ، ص 26 .
- 87 (سفر التكوين ، الإصحاح 9 ، فقرة 13-16 ، ص 15 ، وانظر نسيان الله لإبراهيم ثم تذكره ، سفر التكوين ، الإصحاح 19 ، فقرة 29 ، ص 29 .
- 88 (سفر التكوين ، الإصحاح 29 ، فقرة 16-17 ، ص 45 .
- 89 (سفر التكوين ، الإصحاح 20 ، فقرة 2-7 ، ص 30 .
- 90 (سفر التكوين ، الإصحاح 31 ، فقرة 24 ، ص 51 .
- 91 (سفر التكوين ، الإصحاح 26 ، فقرة 2 ، ص 40 .
- 92 (سفر التكوين ، الإصحاح 26 ، فقرة 23 ، ص 41 .
- 93 (سفر التكوين ، الإصحاح 35 ، فقرة 1 ، ص 57 .
- 94 (سفر التكوين ، الإصحاح 35 ، فقرة 9-10 ، ص 58 .
- 95 (سفر التكوين ، الإصحاح 48 ، فقرة 3-4 ، ص 82 .
- 96 (سفر التكوين ، الإصحاح 42 ، فقرة 23-32 ، ص 54 .
- 97 (سفر التكوين ، الإصحاح 2 ، فقرة 2-3 ، ص 5 .
- 98 (انظر سفر التكوين ، الإصحاح 8 ، فقرة 20-22 ، ص 14 ، والإصحاح الأول فقرة 4 ، ص 3 والإصحاح 1 فقرة 31 ص 4 ، والإصحاح 11 ، فقرة 5 ، ص 17 والإصحاح 18 ، فقرة 20 ، ص 26 .
- 99 (انظر سفر التكوين ، الإصحاح 8 ، فقرة 21 ، ص 14 .

- 100 (انظر سفر التكوين ، الإصحاح 31 ، فقرة 42، ص 52 .
- 101 (انظر سفر التكوين ، الإصحاح 38 ، فقرة 6، ص 63.
- 102 (انظر سفر التكوين ، الإصحاح 21 ، فقرة 9، ص 31.
- 103 (انظر سفر التكوين ، الإصحاح 44 ، فقرة 44، ص 37 .
- 104 (انظر سفر التكوين ، الإصحاح 12 ، فقرة 17، ص 19 .
- 105 (انظر سفر التكوين ، الإصحاح 3 ، فقرة 9، ص 6 .
- 106 (انظر سفر التكوين ، الإصحاح 18 ، فقرة 9 و 14، ص 26 .
- 107 (انظر سفر التكوين ، الإصحاح 3 ، فقرة 8، ص 6 . و الإصحاح 33، فقرة 10، ص 55 .
- 108 (انظر سفر التكوين ، الإصحاح 20، فقرة 18، ص 30 . والإصحاح 30 ، فقرة 22، ص 48 .
- 109 (انظر سفر التكوين ، الإصحاح 25 ، فقرة 21-23 ، ص 39 .
- 110 (انظر سفر التكوين ، الإصحاح 5 ، فقرة 14-16 ، ص 11 .
- 111 (انظر سفر التكوين ، الإصحاح 3 ، فقرة 21 .
- 112 (سورة الأعراف ، آية 19-22 .
- 113 (سورة طه ، آية 115-121 .
- 114 (سورة البقرة ، آية 31 .
- 115 (سورة الأنبياء ، آية 104 .
- 116 (سورة النمل ، آية 88 .
- 117 (انظر العقيدة في الله ، للدكتور عمر سليمان الأشقر ، ص 197 .
- 118 (سورة الشورى ، آية 11 .
- 119 (سورة النمل ، آية 73-74 .
- 120 (انظر للتفصيل : شرح العقيدة الواسطية للدكتور صالح الفوزان ، ص 17 .
- 121 (انظر للتفصيل : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي ج2 ص 272-288 . و شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس ، ص 25 و المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ، للدكتور إبراهيم البريكاني ، ص 58 .
- 122 (سورة الفرقان ، آية 58 .
- 123 (سورة طه ، آية 49-52 .
- 124 (سورة فاطر ، آية 44 .
- 125 (سورة المائدة ، آية 64 .
- 126 (سورة آل عمران ، آية 188 .
- 127 (سورة الأنفال ، آية 30 .

- 128 (سورة النساء ، آية 142 .
- 129 (سورة البقرة ، آية 15- 16 . وانظر لتفصيل هذا الوجه من الصفات الإلهية ، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للشيخ محمد صالح العثيمين ، ص 55- 56 .
- 130 (سورة مريم ، آية 65 .
- 131 (سورة طه ، آية 110 .
- 132 (سورة الإسراء ، آية 36 .
- 133 (انظر للتفصيل : القواعد المثلى ص 66 .

قائمة المراجع

1/ القرآن الكريم .

كتب السنة .

- 2/ جامع الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي ، طبعة دار السلام الخاصة بجهاز الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني بالمملكة العربية السعودية ، الطبعة الثانية ، عام 1421 هـ ، دون ذكر مكان الطباعة واسم المطبعة .
- 3/ صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج القشيري، طبعة دار السلام الخاصة بجهاز الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني بالمملكة العربية السعودية ، الطبعة الثانية ، عام 1421 هـ ، دون ذكر مكان الطباعة واسم المطبعة .
- 4/ صحيح البخاري لإمام المحدثين محمد بن إسماعيل البخاري (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي وإشراف الشيخ محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ومكنتها ، القاهرة 1380 هـ .

المراجع العامة

- 5/ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي، الطبعة الثانية، عام 1400 هـ، دون تحديد مكان الطباعة واسم المطبعة .
- 6/ سفر التكوين ضمن مجموعة الكتاب المقدس ، توزيع دار الكتاب المقدس ، دون تحديد مكان الطباعة واسم المطبعة وسنة الطباعة .
- 7/ شرح العقيدة الواسطية للدكتور صالح الفوزان ، نشر وتوزيع مكتبة المعارف، الطبعة السادسة عام 1413 هـ ، دون ذكر اسم المطبعة ومكان الطباعة .
- 8/ شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس ، مراجعة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، الطبعة الثالثة دون ذكر اسم المطبعة وسنة الطباعة ومكان الطباعة .
- 9/ العقيدة في الله للدكتور عمر سليمان الأشقر توزيع مكتبة الفلاح بالكويت، الطبعة الخامسة، عام 1984 م دون ذكر اسم المطبعة ومكان الطباعة .

- 10/ القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنی للشيخ محمد الصالح العثيمين، توزيع مكتبة أضواء السلف ، طبعة عام 1416هـ ، دون ذكر اسم المطبعة ومكان الطباعة .
- 11/ الكتاب المقدس ، توزيع دار الكتاب المقدس ، دون ذكر مكان الطباعة وسنة الطباعة وتحديد الطبعة.
- 12/ المخل لدراسة العقيدة الإسلامية للدكتور إبراهيم البريكان ، توزيع ونشر دار ابن قيم ودار ابن عفان ، الطبعة الأولى ، دون ذكر اسم المطبعة ومكان الطباعة وسنة الطباعة.
- 13/ المعجم الوسيط لمجموعة ، إشراف عبد السلام هارون ، توزيع المكتبة العلمية بطهران، دون ذكر اسم المطبعة ومكان الطباعة وسنة الطباعة وتحديد الطبعة.
